﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾ [الأعراف: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ربـطُ نصيحةِ إبليسَ المسمومةِ بِقَسَمِهِ بِأَنَّهُ ناصحٌ أمينٌ

لـمَّا وَسْوَسَ الشَّيطانُ لآدمَ وزوجِه، وشعرَ أنَّهما في شكٍّ ممَّا قالهُ ونصحَ به، أرادَ تأكيدَ ما ألقاهُ لهما بأقوى المؤكِّدات، فجاء قولُه تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1]، أي: إنَّ إبليس لم يكتفِ في خداعِ آدمَ وزوجِه بالوسوسة، ولا بالقولِ المجَرَّد مِنَ القسم، حتَّى أقسمَ على أنَّه ناصحٌ لهما[2]، وجاءتِ الآيةُ تحمل معنى التَّرقِّي في خِداعِ إبليسَ لآدمَ وزوجِه؛ إذ ذُكِر في الآية السَّابقةِ الوسوسةُ أوَّلًا، ثمَّ أعقبَها بالقول الَّذي يكونُ أكثرَ تأثيرًا مِنَ الإلقاء، ثمَّ ترقَّى في هذه الآيةِ إلى القسم باللّه تعالى، لعِلْمِ اللَّعين بفظاعةِ عملِه وشناعةِ قولِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: أصل معنى القَسَم: هو النَّصيبُ مِنَ الخيرِ، والقَسَمُ: الحَلِفُ أو اليمين، وأَقْسَمَ: حَلَفَ، وأصله مِنَ القسامَةِ؛ وهي أيمانٌ تُقْسَمُ على أولياء المقتول، إذا ادَّعوا دمَ مقتولهم على ناسٍ اتَّهموهم به، ثمَّ صار اسمًا لكلِّ حَلِفٍ، فمَن حَلَفَ على شيءٍ، كأنَّه أشهدَ غيرَه بأنَّ ما يقوله مِن نصيبِه ومِن قسمه، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ بمعنى: حَلَفَ لهما[3].

2) ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: جمعُ ناصحٍ، "وقومٌ نُصحاءُ، ورجلٌ ناصحُ الجيبِ، أي: نقيُّ القَلْبِ، قال الأصمعيُّ: النَّاصحُ الخالصُ مِنَ العسلِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/373، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/10.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/26.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، السّجستانّي، غريب القرآن، ص: 375، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قسم).

وغيرِه، مثل النَّاصعِ، وكلُّ شيءٍ خَلَصَ؛ فقد نَصَحَ، وانتصح فلانٌ، أي: قَبِلَ النَّصيحةِ، يقال: انتصِحْني إنِّني لكَ ناصحٌ، وتنصَّح، أي: تشبَّه بالنُّصحاءِ، واستنصحَهُ: عَدَّه نَصيحًا"[1]، ومِن معناها ما قالَهُ النابغة الذُّبيانيُّ:

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا *** رَسُولِي، وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وَسَائِلِي[2]

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

مِن سُبُلِ إغواءِ إبليسَ التَّلويحُ بالنُّصحِ

أقسَمَ إبليسُ لآدمَ وحوَّاءَ باللّهِ، إمعانًا في الإغواءِ، وإصرارًا على الوسوسةِ، أنَّه إذ قال لهما ما قال؛ فإنَّه لهما مِن جملةِ النَّاصِحينَ[3]، وتأكيدُه ذلك بالأَيمانِ المُغلَّظةِ؛ إذ كان عندَهم محلَّ الشَّكِّ والظِّنَّةِ، لأنَّ اللّه تعالى كان قد أخبرهما أنَّه عدوٌّ لهما[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ صيغةِ المفاعلةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾:

قد يُخدَعُ المؤمنُ باللهِ، ولكنَّه ليس بالخِبِّ، ولا الخِبُّ يخدعُهُ

جاءت صيغةُ المفاعلةِ في قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾، على معنى المبالغةِ في القسم، وفاعَلَ قد يأتي بمعنى: أَفْعَلَ، نَحْوُ: بَاعَدْتُ الشَّيءَ وَأَبْعَدْتُهُ، فإذا صدر الفعل عن واحدٍ وجيء بزنةِ المفاعلة، دلَّ ذلك على المبالغة في الفعل، أي: إنَّ الشَّيطانَ اجتهد في القسمِ لهما اجتهادَ المقاسمِ ليَغْلِبَهُما، بمعنى: أنَّه جدَّ في قَسَمه؛ لإقناعِهما بما قاله لهما، ويَحتمِل أن تكونَ الصِّيغةُ على أصلها، بمعنى: المشاركةِ، كأنَّهُ قال لهما: أُقْسِمُ لكما إنِّي لمن النَّاصحينَ، وقالا له: أَتُقْسِمُ باللّهِ إنَّك لمن النَّاصحينَ، فجعل ذلك مقاسمةً بينهم، أو أَقْسَم لهما بالنَّصيحة، وأَقْسَما له بقبولِها، فالقَسَمُ على هذا الوجهِ وقع مِنَ

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (نصح).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (نصح).
(3) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 285.
(4) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 285.

الجانبين، لكنَّه اختلف مُتَعَلَّقُه، فهوَ أقسمَ لهما على النُّصْحِ، وهما أقسما له على القبولِ، وإنَّما يُعْلَم ما ذُكِر في الوجهِ الثَّاني والثَّالث، بالنَّقلِ عنِ المعصوم وليس ثمة نقل، فالوجهُ الأوَّلُ أولى[1].

مناسبةُ تتابُعِ المؤكِّداتِ في ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾:

تـزيـينُ الـبـاطـلِ وتـقـريـبُـهُ مِـنَ الـنَّـفـسِ، مِـن فعلِ الشَّيطانِ ومُراوغاتِهِ

لـمَّا كانت نصيحةُ إبليسَ محلَّ الظِّنَّة والشَّكِّ عند آدمَ وزوجِه؛ لأنَّه تعالى أخبرَهما بأنَّه عدوٌّ لهما، أشعرَ أنَّ آدم كانَ مُنْكِرًا لوسوسةِ إبليسَ وقولِه: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، فأكَّد الشَّيطانُ دعواه بأشدِّ المؤكِّدات وأغلظِها، فقال مُخبرًا عنه: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، فقد تتابعتْ خمسةُ مؤكِّداتٍ، وهي القسمُ، و(إنَّ)، ومجيءُ الكلام بطريق الجملةِ الاسميَّة، وتقديم ﴿لَكُمَا﴾، واللَّام، وعليه: فقد أفاد التَّأكيدُ بالقسم، وبـ (إنَّ)، ومجيءِ الكلام بأسلوبِ الجملة الإسميَّة، تأكيدَ مضمونِ الجملة أيَّ تأكيدٍ، لكونه مِنَ النَّاصحين، وأنَّ نُصْحَه ثابتٌ لهما.

دلالةُ التَّقديمِ لشِبهِ الجملةِ ﴿لَكُمَا﴾:

تـخـصـيـصُ الـنُّـصـحِ لآدمَ وحوّاءَ، يُستفادُ مِنَ السِّياقِ

أصلُ الكلامِ في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: (وقاسمهما إنِّي لمن النَّاصحين لكما)، فقدَّم الجارَّ والمجرورَ؛ لإفادةِ تأكيدِ نُصْحِه، والاهتمامِ به وتخصيصه، والمعنى: تخصيصُ النُّصح لهما، وأنَّه إنَّما يَنصَحُ لأجلِهما، وقد "أقسمَ لهما قسمًا مُغلَّظًا: إنِّي لكما لمن النَّاصحينَ المخلصينَ، ثمَّ بعد هذا، ما زال يَخدعُهُما بالتَّرغيبِ، وبالوعدِ، وبالقَسَمِ، حتَّى نسيا موقفَهما مِنَ اللهِ، وأَمْرِه إليهما، وأسقطَهُما عمَّا كانا فيهِ مِن مكانةٍ ومنزلةٍ وطبيعةٍ"[2].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/95، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/220، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/26، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/220.

(2) الحجازيّ، محمّد محمود، التّفسير الواضح: 1/702.

دلالةُ التَّأكيدِ باللَّامِ في قوله: ﴿لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾:

ترسيخُ الإغـواءِ يقتضي التَّوكيدَ

لـمَّا شعرَ الشَّيطانُ أنَّ آدمَ وزوجَهُ في شَكٍّ مِن قولِهِ، جعل قولَهُ نصيحةً لهما؛ ليُشْعِرَهُما بأنَّ الخيرَ فيما أُلْقِي في نفسيهما، وفي قولِه، فكانَ تأكيدُ نُصْحِه مِن مقتضياتِ المقامِ، ومتطلَّباتِ الإغواءِ، ممَّا بَرعَ فيه إبليسُ وجندُه، على مدى الأزمنةِ وفي كلِّ الأحوالِ.

توجيهُ التَّعبيرِ بقوله ﴿لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، ودلالتُهُ على المراوغَةِ:

نظمُ القرآنِ أبلغُ في إثباتِ النُّصحِ وتقريرِهِ

قد يقالُ: لِمَ لمْ يقُلْ: (إنِّي لكما لناصحٌ)؟ وهو أخصرُ، والمعنى واحدٌ؟ والجوابُ: ليس المعنى بواحد، وبينهما فرقٌ، فإنَّ قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، أبلغُ في إثباتِ النُّصْحِ، مِن نحو: إنِّي ناصحٌ، أو قد نصحْتُك، أو نصحْتُ لك؛ لـمَا تدلُّ عليه (أل) الجنسيَّةُ في قوله: ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ مِن أنَّه واحدٌ مِن فئة النَّاصحين، ومَن كانَ مِن فئةٍ موصوفةٍ بوصفٍ، ثبتَ له الوصفُ بطريقِ اللُّزوم؛ ليكونَ مِنَ الكنايةِ عن طريقِ إثباتِ الشَّيءِ بإثباتِ ملزومِه، وهو أبلغُ مِنَ التَّصريحِ، وتقدَّم نظيرُ هذا الأسلوبِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»